

بَابُ الْحِكْمَةِ وَالْإِصْلَاحِ

(مملكة مراکش ومؤتمر الجزيرة)

كتبنا في العدد الخامس عشر من سنة المنار الأولى الذي صدر في ٩ صفر سنة ١٣١٦ أي منذ ثمان سنين كاملة انذارا لسلطان مراکش بأن طوفان أوربا لا بد أن يفيض على بلاده فينمرها إذا هلم يبادر إلى إصلاح شأنها بالتربية والتعليم اللذين تقتضيهما حالة العصر لاسيما تعليم الفنون العسكرية والمدنية والاقتصادية ونصحنا له بأن يستعين على ذلك بسلطان الدولة العثمانية . ثم أعدنا النذر والنصائح ولكن القوم في غمرة ساهون ، لا يتوبون ولا هم يذكرون ، وإنما يعتمدون على أهل القيور في دفع الضرر أو تحويله عنهم . كما علمت من اتجاهمهم إلى قبر سيندي ادريس عندما أرادت فرنسا الاقتيات عليهم وجوارهم عنده بكلمة (يا لطيف) مئة ألف مرة . وقد كان من أسباب استدراجهم في اعتقادهم ما كان من عاهل الألمان يومئذ وإيثاره إلى السلطان عبد العزيز بطلب عرض إصلاح مراکش على مؤتمر أوربي فأنفق المؤتمر في الجزيرة من حواضر أسبانيا فاتفق أعضاءه على وجوب انشاء مصرف (بنك) لتلك المملكة وانشاء شرطة (بوليس) يدير أمرها ضباط أوربيون . أما المصرف فلا يتلغ أموال الحكومة وأما الشرطة فتأمين تجارة أوربا التي يتعاون بها أموال الأهالي وتمكنون بها من ادارة البلاد ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون وقد طال النزاع بين فرنسا وألمانيا في شأن حصص كل دولة في المصرف وفي كون ضباط الشرطة من الفرنسيين والاسبانيين أم من سائر الدول وفي رئيس هؤلاء الضباط ونحو ذلك مما لا غرض لنا في بيان جزئياته لأننا لا نكتب لأجل احصاء وقائع التاريخ ولأجل تفكيه القراء ان نكتب إلا لأجل بيان طرق العبارة للمسلمين مباحة الخلف القوم وتنازعوا فهم أقرب إلى الاتفاق على التوفيق بين مصالحهم المتعارضة منا على مصالحنا المتحدة . وكل ما يتمنون عليه فهو اضعاف سلطتنا بل تقليص لظواهرنا عن بلادنا ولو بالتدريج الذي هو خير لهم إذ لا يحتاجون فيه إلى بذل دماءهم وأموالهم .

ومن غريب جهلنا ان نعد أنفسنا ظافرين كما طلبوا منا تجديد نفوذ لهم في بلادنا وازالة نفوذ لنا منها فنالوا بعضه كما جرى لنا في مسألي كريت ومكدونية وكما سيجري في مراکش بعد هذا الموت ثم الذي يجعل لهم حقار سمياني القبض على ادارة البلاد وأموالها . اذا أرجعت المسببات الى أسبابها تبين لك ان الذي حال بين أهل مراکش وبين الاتفاع بما ذكرناهم وذكركم به غيرنا هو الجود على التقاليد والاتكال على أصحاب القبور فهاتان علتان هما المانعان من فهم الحق ومن كل تفسير يدعى اليه المقلد للآباء ، المفوض أموره الى من اتخذهم اولياء ،

﴿ مسألة العقبة ﴾

كان أهل الرأي في الدولة وأصحاب النفوذ في المابين برون منذ شرع في سكة الحجاز الحديدية أن من الضروري احداث ناشط لها ينتهي بهرضة العقبة في البحر الاحمر وقال بعضهم اذا عجزنا عن اىصال السكة الى الحرمين فان ربنا من السكة لا يكون قليلا اذا استعصنا عن ذلك باىصالها الى العقبة . وقد اجتهد الصدر الاعظم ومختار باشا الغازي وعزت باشا العابد وصادق باشا العظم اجتهادا عظيما في اقناع السلطان بوجوب انشاء هذا الناشط منذ سنين فكان يأبى ذلك ويحتج بأن هذا يكون وسيلة لتداخل الانكليز في بلاد العرب فلما أعياه أمر ثورة اليمن اقتنع بأن اخضاع تلك الولاية وتمكين السلطة فيها من بعض فوائد ناشط العقبة من سكة الحديد فأمر به وأرسلت الجنود العثمانية الى العقبة لتمهيد العمل . فلما رأت انكسار ذلك خافت من الدولة على مصر أضماف ما كان يخاف منها السلطان على بلاد العرب . واعتقدت أنه مادفع السلطان على هذا العمل الا ألمانيا الدائبة في مناهضة انكسار وأنه لا يبعد ان يتفق السلطان مع عاهل الألمان على الزحف على مصر بمد وصول الناشط الى العقبة فأرادت بناء معاقل عسكرية هناك باسم مصر فكانت الدولة بالمرصاد فمنعت الجنود المصرية من البناء بالتهديد فأنشأت انكسار تعارض الدولة بأن جنودها احتلت نقطة مما كانت سمحت به لمصر من أرض سيناء واشتدت في ذلك بلسانها و بلسان الحكومة الخديوية التي تنطق بوحياها . على ان انكسار قد غيرت حدود مصر في شبه جزيرة سيناء في الخرائط الجغرافية التي جعلتها المدارس المصرية منذ بضع سنين .